



منذ سقوط بغداد في 2003، تركت واشنطن لإيران والحكومات التابعة لها في العراق حق "اجتثاث" فئات من مكونات المجتمع العراقي، تارة تحت مسمى "اجتثاث البعث" وأخرى بذرية "اجتثاث التكفير والإرهاب"، دون أن يكلف البيت الأبيض خاطره لذكره لتذكرة التابع والمتبوع بشيء اسمه "حقوق أساسية".

و قبل ذلك وبعده، تبنت الولايات المتحدة نفسها نظرية "القروdes الثلاثة"، فباتت لا ترى ولا تسمع ولا تكلم، بحق "الاجتثاث" الذي مارسه وما زال نظام العسكر في الجزائر، و"الاجتثاث" المشابه له في مصر، و"الاجتثاث" الذي تنفذه على قدم وساق مليشيات خارجة عن "الشرعية"، بمعاييرها الدولية، في كل من لبنان واليمن.. و"اجتثاثات" أخرى هنا وهناك تطول قائمتها. ولكن عندما أتي الأمر إلى سوريا، قلبت واشنطن "آيتها" وغيرت نغمتها، وباتت "اجتثاث" المجرمين محظوظاً، والخلاص من الجزارين ممنوعاً، تحت يافطة حماية الأقليات، وهي نفس اليافطة التي أوصلت سوريا إلى ما هي عليه اليوم، ولو زايد المزايدون، فمن تريـد "واشنطن" حماية الأقليات في سوريا في اتفاقها الموسوم باسم "كامب ديفيد"، ومن هي الأقليات التي تقصـدها، ولماذا لم تفكـر لحظة بحماية الأكثـرية التي توشكـ أن تصبحـ أقلـية عدـدية لـكثـرة ما تـعرضـتـ لهـ منـ مجازـرـ وـحملـاتـ تـهجـيرـ وـتطـهـيرـ.

ولماذا تتدخل الولايات المتحدة في شأن هو من أخص خصوصيات المجتمع السوري، بدون تفويض من أي نوع أخلاقي أو شرعي أو قانوني، بينما كان رئيسها يصر على سماع صوت "كونغرس" عندما أراد شن ضربات عقابية ضد النظام عقب مجزرة الكيماوي الرهيبة بالغوطة، عـلماًـ أنـ الدـستـورـ الـأمـريـكيـ يـمنـهـ حقـ الانـفرـادـ بشـنـ هـذـهـ الضـربـاتـ، دونـ الرـجـوعـ للـسلـطةـ التـشرـيعـيةـ؟ـ

أستطيع كمغربي قارب من العمر خمسة عقود، أن أجزم بأن سوريا الحياة الاجتماعية لم تكن مقسمة على أساس أكثرية

وأقلية، ولم يكن أحد يشعر بأنه من الأقلية أو يحس بـ"عقدة نقص" من انتقامه، إلا بمقدار ما يحشر هو نفسه داخل النطاق الأقلوي، وبقدر ما يسلك سلوكاً أقلوياً، أي سلوكاً انعزاليًا عدوانياً متشكلاً، "يضرب" خيوط المؤامرة حول الآخرين، ثم يشتكي أنهم هم من يتآمرون عليه.

ولو سلمنا جدلاً بوجود تقسيم على أساس أقلوي وأكثرى في سوريا، ولو بحده الأدنى، فإن صورة وشكل الأكثرية والأقلية قد تبدلت تبدلاً بينما مع اندلاع الثورة، وخضعت لتحول جذري مع استمرارها، جعل كثيراً من السوريين - وأننا منهم - يغير تعريفه التقليدي الباهت، فصارت الأكثرية عنده من ترفض الظلم والاستبداد والقتل والفساد، والأقلية هي من تقبل بهذه المخازي أو تحرض عليها، بغض النظر عن الانتماء الديني أو المناطقي أو حتى درجة القرابة، وبهذا المعنى يمكن وضع تنظيم "الدولة" ونظام بشار في خانة الأقليات، رغم أنهما على طرفي نقيف عقدي.

ولقد ناقشني في أحد الأيام قريب لي متهمًا الثورة بالطائفية، فسألته سؤالاً مفاده: إذا ما قبض الثوار على أحمد حسون أو محمد سعيد البوطي "السنين" وعلى بشار الأسد "العلوي"، فبمن تتوقع أن يبدأوا.. فسكت ومن لحظتها وأنا أنتظر جوابه، الذي يبدو أن "واشنطن" لا تريد سماعه، لأنها لا تملك شمامعة تتعلق بها حماية المجرمين أفضل من شمامعة "حماية الأقليات".

زمان الوصل

المصادر: